التنوع الثقافي عبر وسائل الإعلام والاتصال في المجتمع الجزائري

" مقاربة سوسيوانثروبولوجية"

Cultural diversity through media and communication in Algerian society

"Anthropological Approach"

أ: كمال بوغديري[1]

[1]جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)

تاريخ الاستلام : 10-02-2018؛ تاريخ المراجعة : 03-08-2021 ؛ تاريخ القبول : 10-11-2021

ملخص

تنوعت الأشكال الثقافية سواء المادية أو المعنوية التي أبدعها الإنسان على مر التاريخ، حيث ارتبطت جميعها بحاجاته ارتباطاً وثيقاً، هذه الأخيرة رغم اختلافها وتعددها خضعت بدورها **للتغير والتغيير** الذي يعد قانون الطبيعة. ذلك أن مركبات الثقافة لا تظل في حالة ثابتة Static، بل تكون بوضع متحرك Dynamic، وذلك بفعل عدد من العوامل الداخلية والخارجية، التي تجعل المجتمع يتثاقف ويتلاقح مع المجتمعات الأخرى من خلال الاحتكاك الثقافي معهم، فتجعله يُصدر ويقتبس أنماط ثقافية مادية ومعنوية. نتيجة عوامل عدة، منها **وسائل الاتصال**. سأحاول في هذه المقالة الانطلاق من التساؤل التالي: ماهي أهم مظاهر التغير في ثقافة مجتمعنا الجزائري، وما أهم مظاهر **التثاقف** وأنماطه على الجانبين المادي والمعنوي؟ وذلك بتتبع العناصر الثقافية الوافدة والدخيلة على ثقافتنا، والتغير الذي طرأ على المنظومة القيمية بمعاييرها الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع الجزائري المعاصر ارتأيت استخدام المنهج الاستقرائي وكذا الوصفي التحليلي ومن الاستنتاجات الرئيسية المتوصل إليها:

- أن عمليةَ التثاقف العربي الغربي، أحدثت خللا كبيرا أثر بشكل واضح في البناء الثقافي والمعرفي لكثير من مجتمعات العالم الثالث في مرحلة ما بعد الكولونيالية لأسباب متنوعة، يُسمى بالارتباك الثقافي، لاسيما في ظل صراع قيمي ثقافي سُخّرت له أحدث التقنيات الاتصالية.

- إنّ عدم الاتساق الثقافي والتنافر في عناصر الخطاب الثقافي يؤدي إلى ضعف ثقافة المجتمع ويهدد كيانه ووجوده. وبناء عليه ينبغي للخطاب الثقافي أنّ يتجاوز تلك الرؤى التي كانت تنادي بنظريات الإزاحة والإحلال.

- بات اليوم من الضروري للمجتمعات العربية عموما ومجتمعنا الجزائري خصوصا أن تحمل خطابا ثقافيا يتسق مع هوية الأمة، خاصة وأنها تملك نظاما معرفيا واضحا يحدد رؤية الإنسان للإله والإنسان والعالَم وتنعكس معالم هذا النظام المعرفي على مجالات الحياة كلها.

الكلمات المفتاحية: ثقافة؛ تثاقف؛ إتصال، إنتشار الثقافي

Abstract :

The cultural forms, whether material or moral, created by human throughout history, have been linked to his needs closely. The latter, despite their diversity, diversity and diversity, are subject to the phenomenal of change, which is the law of nature. The cultural components are not static, but dynamic. This is done by a number of internal and external factors that make the society intertwine and interact with other societies through cultural contact with them, making it issue and quoting material and moral cultural patterns. By means of several factors, including means of communication. In this paper, I will try to identify the most important aspects of the change in the culture of our Algerian society. It is manifested in acculturation and its patterns on both the material and moral aspects, in order to know the cultural elements come to our culture, values, traditions.

Keywords : Acculturation; Culture; Communication; Cultural spread**.**

I- تمهيد :

استطاعت وسائل الاتصال بأنواعها المختلفة التي صاحبت الثورة التكنولوجية الحديثة أن تتغلب على عقبات الوقت والمسافة، كما مكنت الأفراد والشعوب في كل أنحاء العالم من اختراق الحدود المكانية، كما ساهمت في ربط الأفراد والجماعات بعضهم البعض، في مختلف بقاع العالم وتمكنت من فك عزلة بعض المجتمعات البشرية، في شتى بقاع العالم وذلك ما حفز على التفاعل والمشاركة الجماعية، والمساهمة في تعزيز قيم التنوع الثقافي، وكذلك الاطلاع على ثقافات الشعوب على المستوى الخارجي، مما انعكس على شكل ونمط حياة شعوب العالم في مضمونها، وخصائصها، وانتشارها، وقدراتها على التأثير وتمثل وسائل الاتصال نافذة أساسية يطل منها إنسان هذا العصر على العالم، ويرى من خلالها ثقافته، وحضارته، وتقدمه فهي اليوم احد أهم الوسائل التي تجعل المجتمع يتثاقف ويتلاقح مع المجتمعات الأخرى من خلال الاحتكاك الثقافي معهم فتجعله يُصدر ويقتبس أنماط ثقافية مادية ومعنوية. سأحاول في هذه المقالة الوقوف على أهم مظاهر التغير في ثقافة مجتمعنا الجزائري، الناتجة عن ظاهرة التثاقف وأنماطه المادية والمعنوية، وذلك لمعرفة العناصر الثقافية الوافدة والدخيلة على ثقافتنا بما فيها من خصوصيات. **انطلاقا من التساؤل التالي: ما هي أهم مظاهر التنوع الثقافي التي أحدثتها وسائل الإعلام والاتصال في المجتمع الجزائري؟**

أولا: مفاهيم أساسية:

- الثقافة **culture**: نال مفهوم الثقافة اهتمام العديد من علماء الاجتماع الأنثروبولوجيا، ولعل أشهر تعريف ذلك الذي تقدم به عالم الأنثروبولوجي تايلور عرف الثقافة أو الحضارة بإطارها الاثنوغرافي الواسع، هي " ذلك الكل المعقد الذي يجمع المعرفة والمعتقد والفن والأخلاق والقانون والعادات وأية قدرات سلوكية اكتسبها المجتمع البشري"[1]. أما العالم فرانس بواز **Boas** فعرفها على أنها " تضم كل مظاهر العادات الاجتماعية في جماعة ما، وكل ردود أفعال الفرد المتأثرة بعادات المجموعة التي يعيش فيها، وكل منتجات الأنشطة الإنسانية التي تتحدد بتلك العادات"[2]. ويمكن أن تشكل الثقافة " الوعاء الذي يضم الآثار الفنية والبضائع والوسائل التقنية والأفكار والسلوكيات والقيم"[3]. وعليه نعرف الثقافة على العموم بأنها مجموع الأفكار والمعتقدات وأنماط السلوك التي يكتسبها الفرد خلال حياته بوصفه عضو في مجتمع.
- **التثاقف Acculturation**: يعرف التثاقف على أنه تأثر الثقافات بعضها ببعض، نتيجة الاتصال بين الشعوب والمجتمعات مهما كانت طبيعة هذا الاتصال وأهدافه[4]. ويفترض أولا احتكاكا مطولا بين ثقافتين مختلفتين ثم تأثير إحدى الثقافتين في الأخرى، أو التأثير الثقافي المتبادل فيما بينهما، بحيث تتعدل المسالك الثقافية والنماذج الثقافية والاجتماعية عند أحد الفرقاء أو عند الاثنين[5]. لتدل على الأوليات المعقدة للاحتكاك الثقافي التي تتعرض نتيجة لها مجتمعات أو مجموعات اجتماعية إلى أن تتمثل أو أن يفترض عليها تمثل بعض أو كمية من الملامح القادمة من مجتمعات أخرى[6]. إذن التثاقف هو (الاحتكاك والتفاعل المتبادل بين ثقافتين أو أكثر والذي يؤدي إلى التأثر والتأثير في سمات الثقافات المتماسة لتفرز ثقافة جديدة تحمل خصائص مشتركة من الثقافتين أو الثقافات معاً.
- **الاتصال Communication :** الاتصال كلمة مشتقة في لفظها الانجليزي من الأصل اللاتيني Communes، أي Common في الانجليزية و في الفرنسية Commun وجميعها تفيد معنى مشترك، فعندما نقوم بعملية الاتصال فنحن

1Alvin. L .Bertrand .**Basic Sociology**, Louisiana State University, Appleton-century-crofts, New York, 1973, p.89.
[2]Boas. F, "**Anthropology" Encyclopedia of social sciences**. Vol, 2, New York, 1930, pp.73-110 .
[3]Encyclopedia of social sciences the Macmillan. New York, 1962. p.621.

[4] الشماس، عيسى، **مدخل إلى علم الإنسان**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص146.

[5] معتوق، فريدريك، **معجم العلوم الاجتماعية**، أكاديميا، بيروت، 1998، ص20.

[6] بيار، بونت، وميشال ايزار، **معجم الاثنولوجيا و الأنثروبولوجيا**، ترجمة ، مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2006، ص350.

نحاول أن نقيم "رسالة مشتركة" Commonness مع شخص أو جماعة أخرى، أي أننا نحاول أن "نشترك سويا في معلومات أو أفكار أو مواقف حادة"[7]. والاتصال في علم الاجتماع يعني "تبادل الأحوال الذاتية ونشرها بين الأفراد مثل الأفكار والعواطف والمعتقدات عن طريق اللغة التي تعد أداة الاتصال الرئيسة، فضلا عن المحاكاة والإيحاء[8]. إذن هو صيغة من صيغ التفاعل الاجتماعي، كأحد الظواهر الاجتماعية في حياة الناس القائمة أساسا على التأثير في المواقف والقيم والاتجاهات والمعايير وأنماط السلوك وأنماط التفكير وبناء تصور اجتماعي عن الحياة الاجتماعية[9]. إذن يمكن أن نعرفه إجرائيا بأنه: (تبادل العناصر الثقافية المادية واللاّ مادية بين الأفراد والجماعات والمؤسسات من خلال عدة قنوات بشرية أو تقنية).

2.I- **ثانيا: الانتشار الثقافي طريق إلى التثاقف:** من سمات الثقافة الاستمرار والتراكم والتغير، فإن ثقافة كل شعب تتعرض إلى الحذف والإضافة والتجديد وفقا للمرحلة الزمنية. والتغير يكون بفعل عوامل داخلية تخص المجتمع ذاته، وخارجية قادمة عن طريق عوامل الانتشار الثقافي ومنها، **التجارة والهجرات والاستعمار** بأشكاله، فضلا عن **وسائل الاتصال**. وهذا يجعل ثقافة الشعوب تحتك وتتفاعل مع الثقافات الإنسانية الأخرى لتكتسب سمات جديدة وتفقد أخرى بفعل هذا التلاقح الثقافي **(التثاقف أو المثاقفة)**، ومن ثم **الاستعارة والاقتباس الثقافي.**

1- الانتشار الثقافي Cultural Diffusion

إن **الانتشار Diffusion** يعني انتقال أشكال ثقافية مختلفة سواء كانت مادية أو معنوية من مجتمع إلى آخر، أما عن طريق التجارة أو الاتصال المنظم أو العرضي[10]. فالعناصر الثقافية تنتقل من موطن إلى آخر بتأثير بعضها في بعض، كما أن الحضارات تتواصل وتتفاعل وتتبدل، وهذه الخاصية من خواصها الأساسية، مستمدة من كيانها الإنساني والاجتماعي [11]. ويلعب عامل الحاجة دورا مهما في تقارب الثقافات حين يدعو إلى خلق تفاعل بين الحريات الثقافية والأصالة والتراث الثقافي، وبين الثقافة المحلية والثقافات الإقليمية، وتمهد السبيل لخلق الانفتاح من دون التأثر الأحادي الجانب من الثقافة المحلية فقط، بحيث يفقدها هويتها ومعطياتها على أساس التفاعل المشترك والاستفادة من الومضات اللامعة في الثقافات الأخرى التي يمكن أن تثري وتعزز مسيرة الثقافة المحلية[12]. فالأغلب أن ثقافة أي بلد من البلدان أو أية امة من الأمم تضم دوائر ثلاثا متداخلة مع بعضها البعض. **فالدائرة الأولى** هي دائرة (الثقافات المحلية) التي لا تخلو من تنوع هم مصدر للغنى والخصب، **والدائرة الثانية** هي دائرة (ثقافة الأمة) أو الدولة المعنية بكاملها، وتضم أنماط السلوك المادي والمعنوي التي تميز أية أمة من الأمم عن سواها، أما **الدائرة الثالثة** فهي دائرة (الثقافة العالمية) التي تتفاعل مع الثقافة القومية وتمنحها القدرة على الحياة عن طريق تجديدها، والتقدم العلمي التقني، وثورة المعلومات والاتصال بوجه خاص، وتحول العالم إلى قرية واحدة تؤدي كلها إلى اتساع الدائرة الثالثة (دائرة الثقافة العالمية)[13]. وهكذا فان انتشار العناصر الثقافية مهما كانت أسبابه وعوامله سيحمل في طياته الانصهار والحذف والإضافة، ستتجلى في المنظومة القيمية والفكرية للمركب الثقافي لأي شعب أو مجتمع.

---

[7] بدر أحمد، **الاتصال بالجماهير**، وكالة المطبوعات، الكويت، 1982، ص55.

[8] مدكور إبراهيم، **معجم العلوم الاجتماعية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975، ص8.

[9] ينظر الدليمي، أحمد جاعد، **علم اجتماع الإعلام، رؤية سوسيولوجية مستقبلية**، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ص49.

[10] كلاكهون، كلايد ، **الإنسان في المرآة**، ترجمة د.شاكر مصطفى سليم، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد – نيويورك، 1949، ص144.

[11] جواد محمد خلف، **العلاقة الإشكالية بين الثقافي والغزو الثقافي في الخطاب العربي المعاصر**، مجلة المستقبل العربي، بيروت، عدد 176، 1993، ص71.

[12] عبد الدائم عبد الله، **دور التربية والثقافة في بناء حضارة إنسانية جديدة**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1998، ص ص151-152.

13 كوش دوني، **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، ترجمة منير السعيداني، مراجعة الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص93.

2- التثاقف Acculturation

إن التثاقف بوصفه مجموع الظواهر الناتجة من تماس موصول ومباشر بين مجموعات أفراد ذوي ثقافات مختلفة تؤدي إلى تغيرات في **النماذج Patterns** الثقافية الأولى الخاصة بإحدى المجموعتين أو كليهما[14]. ويقول الباحث الكوبي **اورتيز Ortiz** " إنني أؤيد الرأي بان كلمة **المناقلة الثقافية Transculturation** تعبر بشكل أفضل من مراحل سياق الانتقال المختلفة، من ثقافة إلى أخرى، لان هذا السياق لا يشتمل فقط على اكتساب ثقافة أخرى، بل يتضمن أيضا بالضرورة، فقدان مقدار ما من ثقافة سابقة، أي الانتزاع منها، وهو ما يمكن تعريفه **بالتجريد الثقافي Déculturation** ، أضف إلى ذلك، انه يقود بالتالي إلى فكرة ظاهرة نشأة ثقافة جديدة، وهو ما يمكن تسميته **"التثقيف الجديد"**. وهذه العملية تتباين نوعاً وكماً بحسب عوامل عدة، مختلفة ومتنوعة، مادية أم معنوية.

1.2- عوامل ومتغيرات التثاقف.. وضع كل من العلماء، **(ملفيل هرسكوفيتس ورالف لنتون وروبرت ريدفيلد)** نماذج عدة لعمليات **التماس الثقافي**، وبينوا من خلالها أن التماس يمكن أن يكون بين مجموعات بأكملها، أو بين شعب بأكمله ومجموعات مخصوصة من شعب آخر (مبشرون، مثلا، أو مستعمرون أو مهاجرون...)، ويمكن حسبهم أن يكون وديا أو عدوانيا، وقد يكون بين مجموعات متقاربة عددا أو بين مجموعات متفاوتة العدد بوضوح، وقد يكون بين مجموعات متماثلة التعقيد في ثقافتها، وأخيرا قد يكون نتيجة الاستعمار أو الهجرة.

في حين أكد كل من (بيلز Beals وهويجر Hoijer) على أن هناك متغيرات وعمليات كبرى تنطوي عليها ظاهرة التثاقف ومنها، درجة التباين الثقافيThe degree of cultural difference ، وظروف الاتصال وكثافته، ومواقف السيطرة والتبعية ، واتجاه المد التأثري [(15)]. أي أن التثاقف يتأثر كثير باختلاف عناصر الثقافات ونمط الاتصال وظروفه، وكذلك درجة تكافؤ الثقافات المتماسة، ونوع التأثر الثقافي سواء أكانت عمليات التثاقف سلبية أم ايجابية. إن التثاقف لا يمكن اختزاله أبدا، وان كان قسريا أو مخططا له، إلى مجرد نزع للثقافة ولا يفضي حتما، إلى الاستيعاب الذي لا يكون بالضرورة، إذا ما حدث نتيجة إبادة اثنية ويمكن أن ينجر عن اختيار (المستوعبين) الإرادي[(16)].

2.2- وضعيات ونماذج للتثاقف.. إن التثاقف على الأغلب لا يجري أبدا باتجاه واحد، ولهذا اقترح عالم الانثروبولوجيا الفرنسي **(روجي باستيد)** مصطلحي **"تداخل"** الثقافات أو **تقاطعها** عوضا وبديلا عن مصطلح **"تثاقف"**، الذي لا يعين بوضوح تبادل التأثير هذا، وإن كان قليلا ما يكون متناظرا، ولذلك بنى هذا العالم نَموذجه في التثاقف على **ثلاث معايير..الأول**..عام وسياسي تقريبا، و**الثاني**..ثقافي، **والثالث..**اجتماعي، وهنا تتشكل ثلاث وضعيات نموذجية للتثاقف، **أولها** تثاقف **"عفوي" و"طبيعي" و"حر"** أي غير موجه وغير مراقب. **وثانيها** تثاقف **"منظم"** ولكنه **"قسري"** ولفائدة مجموعة واحدة، كما هو الشأن في الاستعمار، بهدف تعديل ثقافة المجموعة المهيمن عليها بغية إخضاعها لمصالح المجموعة المهيمنة، وهنا يكون جزئي ومجزأ وغالبا ما يكون نزاع للثقافة. **وثالثها** التثاقف **"المخطط له والمراقب"..**والذي يسعى أن يكون نسقيا ويستهدف آجالا بعيدة، يأخذ صبغة اقتصادية بهدف التطوير الاقتصادي[(17)]. وقد يتم التخطيط هنا انطلاقا من معرفة مفترضة بالحتميات الاجتماعية والثقافية، كأن تنشأ المثاقفة المخططة بناءً على طلب مجموعة تتمنى رؤية تطوير شكل حياتها لتشجيع تطورها الاقتصادي على سبيل المثال[(18)].

14الشماس عيسى، المرجع السابق، ص146.

[15] الخريجي عبد الله، **التغير الاجتماعي والثقافي**، دار رامكان للطباعة والنشر، السعودية، 1983، ص ص305-307.

[16] كوش دوني، المرجع السابق، ص103.

17 نفسه، ص ص106-107.

18 معتوق فريدريك، المرجع السابق، ص36.

3.2- العوامل المؤثرة في صيرورة التثاقف.. هناك عوامل كثيرة تؤثر في عملية التثاقف، لكننا سنقتصر في توضيح أكثر العوامل التي تؤدي دورا كبيرا فيه وهي ثلاثا، **العامل السكاني**، أي المجموعات المعنية غالبة عددا وأيهما تكون أقلية؟ مع عدم الخلط بين الأغلبية الإحصائية والأغلبية السياسية. و**العامل البيئي**، أين جرى التماس؟ في المستعمرات أم في البلد المستعِمر؟ في وسط ريفي أم في وسط حضري؟

و**العامل الإثني أو العرقي**، ما بُنية الروابط بين الإثنيات؟ أنحن إزاء علاقات هيمنة/إلحاق؟[19].

فبعد عملية الاحتكاك والتفاعل والهجرة، قد تستمر الثقافات المتثاقفة لتصل لدرجة التعايش، في إطار احتكاك متواصل يؤدي إلى الاندماج والعيش المشترك. وكذلك بسبب تجدد الحاجات الإنسانية وتنوعها بحيث أصبحت الحاجة هي السبب الأول لسعي الإنسان إلى التثاقف. وأن تبادل الجميع للمنافع انطلاقا من مبدأ عالمية الثقافة، وان انتقال الأفكار والقيم والمكتسبات الإنسانية لا يمكن وقفه من خلال الحواجز السياسية والحدود الجغرافية[20].

ثالثا : الاقتباس الثقافي:

هي عملية استخدام عنصر ثقافي قادم من منطقة جغرافية معينة سواء مادي أو معنوي من قبل أفراد المجتمع. وتشمل جميع النظم والأنساق، وما يرافقها من ردود أفعال سواء بالقبول أو الرفض أو القبول بعد التحوير، بالإضافة إلى المدة الزمنية التي يستمر فيها بقاء العنصر الثقافي داخل المجتمع المقتبس له، فضلا عن كيفية انتشاره واقتباسه والاحتفاظ به أو رفضه. ليس هناك مدنية – حتى إذا استمرت في مكان واحد تبقى بلا تغير عبر الزمان[21]. وان ميكانيزمات انتشار الثقافة متعددة ومتنوعة جعلت الاتصال الفكري والروحي بين المجتمعات بشكل مباشر وغير مباشر، مما أدى إلى تقريب المسافة بين الاختلاف في الطراز الثقافي واختزال الكثير من الوقت والجهد للاقتباس

بين أفراد الشعوب. وبعد الثورة المعلوماتية التي اجتاحت اغلب المجتمعات فان العزلة قد أصبحت ضعيفة نسبياً، لان العالم أصبح شبه قرية صغيرة نتيجة الانتشار الواسع لمختلف وسائل الاتصال[22].

رابعا: التثاقف عبر وسائل الاتصال في المجتمع الجزائري

قال الزعيم والسياسي الهندي "غاندي" (Mohandas Karamchand **Gandhi**) : "لا أريد أن يكون منزلي محاطا بالجدران من جميع الجوانب ونوافذي مسدودة، بل أريد أن تهب ثقافات جميع البلدان على منزلي بأقصى حرية ممكنة، ولكني ارفض أن تعصف بي أي ثقافة وتقتلعني من جذوري" [23]. هذه المقولة تؤكد بأن رياح التغيير الاجتماعي والثقافي قد تكون غير مقلقة، وان التثاقف مع الثقافات الإنسانية مُرَحَّبُ به، لكن بشرط أن لا يمس المنظومة القيمية التي يمكن أن تتأثر معاييرها الأخلاقية والوجدانية والنفسية والاجتماعية والاعتقادية والدينية. وهذه الاتجاهات تعد أكثر صعوبة من حيث تغيرها وتغييرها. بل تحتاج وقتا طويلا وأحداث كبيرة تصل إلى أشبه ما تكون بزلزال اجتماعي يهز بناء المجتمع ونظمه، لأنها ترتبط بالقيم. وان العناصر المستعارة من ثقافات أخرى، أسهل في اعتناقها أو الأخذ بها أثناء الأزمات وفي أوقات التفكك الاجتماعي[24]. واعتقد أن واقع مجتمعنا العراقي في الظرف الراهن كفيل بجعل التثاقف أكثر يسر وسهولة، لان النظم الاجتماعية مَسَّها خلل كبير، قد يؤثر على نمط الثقافة العامة للمجتمع والثقافات الفرعية **Sub-culture** فيه، فضلاً عن

19 كوش دوني، المرجع السابق، ص ص107-108.

20 بركات نظام محمود، **التبادل اللا متكافيء بين الثقافتين العربية والغربية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003، ص159.

21 شابيرو هاري، **نظرات في الثقافة**، ترجمة: محمد العريان، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة-نيويورك، 1961، ص.159

2 العبيدي حارث علي، **دراسات سوسيوانثروبولوجية**، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، 2012، ص160.

[23] تقرير التنمية البشرية، لعام 1999، **برنامج الأمم المتحدة Undp** ، طبع في **البحرين**، 1999، ص4.

[24] غيث محمد عاطف، **علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984، ص283.

ضعف أداء مؤسسات المجتمع لوظيفتها بسبب ما خلفه الاحتلال من تدمير للبنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. لان الجزيئات الثقافية المادية أسرع في انتشارها من الأفكار والإيديولوجيات[25]. وهذا ما حصل إبان الاحتلال الفرنسي لبلادنا منذ 1830. ومازال مستمرا بعد رحيله عسكريا وبقائه ثقافيا. ويشهد الواقع الثقافي أن عرضت عناصر ثقافية عديدة بفعل الانفتاح على الخارج بعد أن كان شبه مغلق على الثقافات الأخرى، وما حملته الثقافة الوافدة من أفكار، لاسيما التي جاءت عبر وسائل الاتصال، ورافق هذا قبول بعض فئات من المجتمع لمجموعة من هذه العناصر الثقافية، ومنها الفئة التي رحبت بالتغيير بكافة أشكاله وأساليبه. ومازالت تجري محاولات دمج هذه العناصر الثقافية الوافدة في ثقافتنا التي تمثل حصيلة تراكم تاريخي. فعندما تحتك ثقافتان مختلفتان يميل النمط الأبسط والأكثر ضرورية إلى أن يمر بسرعة اكبر[26]. وهذا ما لمسناه في واقعنا الثقافي حين دخلت الأنماط البسيطة، منها المادية كالأجهزة الكهربائية والالكترونية وغيرها، فكانت أكثر تقبلاً ورغبة وذلك لحاجة المجتمع إليها بسبب افتقاده لكثير منها في المرحلة السابقة. وقد رأينا أنواع مختلفة من الأنماط الثقافية، سواء أكانت العناصر الأجنبية ناقلةً أم مُمَرِّرةً لها، فهي مستمرة وتتزايد كماً ونوعاً في ثقافة المجتمع. وبذلك فان العناصر المادية ممثلة بالتقنيات **كالهاتف النقال والبث الفضائي والانترنت**، سبقت بدخولها الأفكار والعادات ومنها **التحزب** والاتجاهات **الطائفية**، ومفاهيم **حرية المرأة وحقوق الطفل**، وغيرها التي حملتها موجة العولمة الثقافية. ويمكن أن يعتمد قبول العناصر الجديدة على مدى نفع هذه العناصر وقابليتها على الانسجام، أي مدى الانتفاع منها ومدى السهولة التي يمكن بها أن تنسجم مع النسق الثقافي القائم[27]. ويتضح ذلك في قبول شريحة لبعض العناصر لافتقادها إليها في الحياة اليومية، مثل وسائل الاتصال كالهاتف النقال والانترنت والهوائي المقعر أو الساتل وغيرها. وفي الوقت ذاته رفض العناصر الأخرى التي ثبت عدم فائدتها، لدورها في تفكيك النسيج الاجتماعي والثقافي، كالمخدرات والجريمة الالكترونية والأفكار التفكيكية والانفصالية.

والملاحظ أن ثقافة المجتمع الجزائري ذات أبعاد مختلفة: (عربي، أمازيغي، إسلامي، إفريقي، متوسطي...)، تتسم بقوة العلاقات الاجتماعية **relations social** ونمط التفاعل الاجتماعي**interaction social** المباشر في صوره من التعاون **cooperative** والتنافسية **competitive** والتمثيل الاجتماعي **similation social** وسيادة التضامن والتماسك الاجتماعي لمتانة نسيجه الاجتماعي والثقافي على الرغم من تباين خارطته الاجتماعية.فالأسرة الجزائرية تحمل سمات الأسرة العربية، شديدة التمسك بالتقاليد الموروثة (أسرة نمطية) عن الأجداد. كذلك فان تأثير العديد من العوامل، رسمت عليها صورة من التنوع الثقافي. ويعتبر علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا أن المجتمع الأكثر تنوعا هو الأكثر تقدماً، فالتنوع مصدر ثقافي وحضاري واقتصادي واتصالي[28]. وفي المرحلة الراهنة يواجه المجتمع الجزائري العديد من التحديات، ومنها ظاهرة التثاقف والاقتباس. إذ نجدها في تفاصيل الحياة اليومية، مثل الأزياء بأشكالها وألوانها، وتسريحات الشعر الجديدة، وسلوكيات الأفراد في مجال الفنون، ونمط الطعام واستخدام الهاتف النقال في الشارع وداخل الحرم الجامعي وقاعات الدراسة.

---

[25] بيومي محمد احمد، **الانثروبولوجيا الثقافية**، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص117.

26 الخشاب أحمد، **دراسات انثروبولوجية**، دار المعارف، مصر، 1971، ص117.

27 لنتون رالف، **دراسة الإنسان**، ترجمة عبد الملك الناشف، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت- نيويورك، 1964، ص450.

28 معتوق، فريدريك ، المرجع السابق، ص116.

1-مظاهــر التثاقــف

أولا: مظاهر التثاقف المادي..إن الأفراد اقل مقاومة للتغير في العناصر المادية للثقافة وأكثر قبولا لها وإقبالا عليها، على عكس العناصر المعنوية، إذ أن من الملاحظ والثابت أنهم يقاومون هذا التغير ويعارضونه معارضة شديدة[29]. ويظهر هذا في انتشار عناصر الثقافة المادية بشكل كبير في المجتمع سبق دخول الأفكار والأنماط السلوكية والعقائدية، وفي الكم الهائل من الأدوات التي لم نشاهدها من قبل في مختلف المجالات الصناعية والتجارية والزراعية والمنزلية. فقد غرقت الأسواق والمحلات التجارية بأنواع كثيرة من الأجهزة الكهربائية والالكترونية والأزياء والمواد الغذائية والكمالية المستوردة وبشكل غير طبيعي وغير معهود كماً ونوعاً، وكأن المجتمع أمسى وعاءاً فارغاً المطلوب ملؤه بأي شيء مربح مادياً، فامتزج الغث بالسمين. لأنها في الوقت ذاته غير خاضعة لضوابط رسمية ورقابة الدولة مع غياب أجهزة التقييس والسيطرة النوعية. وهو ما جعل وجودها سلباً لان الهدف هو الربح الفردي، فضلا عن الأهداف الاجتماعية التي تتجلى في محاولة تفكيكه وتفتيت وحدته وتمزيق نسيجه الاجتماعي والثقافي، وسلخه عن جسده العربي وطمس هويته، تحت شعارات براقة، كالحرية والتحرير وحقوق الإنسان والإعمار والتنمية، ومحاولة فرض ثقافة غريبة، مهجنة من سماتها الاستهلاك والفردية والمناطقية والمذهبية والطائفية والعرقية.

1.1-التقنيات: لا شك في أنه لا يمكن فصل الشباب عن موجات "**العصرنة**" في العالم، حيث يقرأ عنها أو يشاهدها "في **الفضائيات أو شبكة المعلومات – الانترنت**". وتدخل العناصر الثقافية عن طريق الأفراد باقتباسهم المستمر لها واستخداماتهم إياها، فتأخذ صفة العمومية تدريجيا عن طريق **التقليد** اولاً، ثم **الاقتناع** ثانياً[30]. وهو ما نراه في أرجاء المجتمع سواء داخل المنزل أم خارجه، في الشارع أو دور العلم أو الأسواق أو المؤسسات، من تزايد اقتباس هذه العناصر المادية، وكأن الضوابط الاجتماعية المحيطة بالفرد بدأت تضعف، وبالتالي اخذ الناس يعكفون على هذه العناصر واقتباسها، لا لأهميتها أو لفائدتها في الأسرة، بل تقليداً ومحاكاةً في نمط من تثاقف عفوي وطبيعي وحر.

أ- **طبق البث الفضائي Satellite :** بعد دخول **أطباق البث الفضائي Satellites** إلى المنزل وأصبح لكل فرد جهازه الخاص به،. فبعد أن كانت الأسرة تجتمع في غرفة واحدة وعلى مائدة مشتركة تستمع إلى حديث رب الأسرة والاجتماع بمناخ يحفه الحب والمودة والدفء العاطفي، مع توجيه ونصح وإرشاد وتهذيب للسلوكيات، تجسد وظيفة النسق الأسري. نراها الآن مشتتة على غرف أفرادها في شبه عزلة اجتماعية وفرقة داخل المنزل. يضاف إليه اكتساب واقتباس ما تبثه القنوات الفضائية من برامج تتضمن أنماط ثقافية بعيدة عن ثقافتنا العربية والإسلامية. فأي عنصر يَرِد من الجهة التي تكون موضع إعجاب الناس يحضى على اقل تقدير باهتمام حيوي، في حين أن العنصر الذي يرد من مصدر يستخف به الناس لن يحظى بالقبول إلا إذا كان ينطوي على فوائد ملحوظة للمجتمع والمستقبل[31]. ولذلك فإن أفراد المجتمع مختلفين في تثاقفهم وتماسهم ونوعية اختيارهم ولا يتساوون في درجة تقبلهم واقتباسهم للعناصر الثقافية التي تصلهم من الفضائيات. كل حسب اتجاهاته وميوله ورغباته وحاجاته، والتي تتقاطع أحيانا بعضها مع البعض الآخر، بسبب الفروق الفردية فيما بينهم، لتؤدي إلى خلافات أسرية بين الأخوة في مسالة اختيار القناة الفضائية المطلوبة، لينتج عنها بقاء أفراد الأسرة وقتاً طويلاً في غرفهم في تشرذم أضعف **العلاقات الاجتماعية Social relationship** بينهم. لانعدام مجالات التسلية والترفيه للشباب، لما خلفه الاحتلال من تدمير للمؤسسات الرياضية والاجتماعية، فضلا عن القيود الحادة أمام اختلاط الجنسين، لصرامة النظام الاجتماعي، جعل من الساتل satellite الملاذ والمتنفس لإشباع الحاجات النفسية والاجتماعية، وتحقيق رغباتهم وفق

29 الساعاتي سامية حسن، **الثقافة والشخصية**، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص83.

30 ينظر غيث محمد عاطف، المرجع السابق، ص285.

31 لنتون رالف، المرجع السابق، ص454.

قناعتهم وتفكيرهم، وبالتأكيد سيرافقه آثاراً سلبية وايجابية لضعف الرقابة على البرامج والأفكار التي تحملها لهؤلاء الشباب، بسبب التغيير الثقافي والاجتماعي السريع في المجتمع.

ب- الهواتف الذكية: Smartphones : هذا النوع من وسائل الاتصال لا يقل أهمية عن غيره من الأدوات والعناصر الثقافية التي يتثاقف من خلالها الأفراد، يرافق ذلك ضعف وسائل الضبط الاجتماعي والرسمي. فبعد أن كان هناك خط هاتف واحد (اتصال سلكي) في البيت، ومعظم المكالمات الصادرة والمستلمة تمر بعلم وضبط أولياء الأمور، أصبح الآن لكل فرد هاتفه، وبحرية كاملة ذكورا وإناثا ولمختلف الأعمار، مما يؤدي إلى انعكاسات سلبية أكثر منها ايجابية، بسبب عدم توافق ثقافة استخدامه مع وعي مستخدميه. ومنها إهمال الشباب وتراجع الرغبة في القراءة مما يؤدي إلى خفض الانجاز الدراسي بسبب انشغالهم بشكل مبالغ فيه، لا سيما الرسائل القصيرة، والنغمات وغيرها أكثر من اهتمامهم بالجانب الدراسي[32]. وكذلك أدى إلى تقليل الساعات التي ستنصرف في المطالعة والتحصيل المعرفي وانجاز الواجبات الدراسية المناطة بالفرد، وبالتالي تنعكس على الفرد نفسه في إهماله لدروسه والتي تؤدي إلى رسوبه[33]. فضلاً عن إثقال كاهل رب الأسرة مالياً، بإنفاق رصيد إضافي من الدخل الشهري في شراء بطاقات التعبئة والصيانة، في ظل ارتفاع نسبة البطالة داخل المجتمع. حتى أصبح الهاتف مصدر إزعاج للكثير من الأسر، خاصة الهاتف ذي خاصية الكاميرا، الذي يثير القلق والخوف من سلوك البعض بالتقاط وبث صور الفتيات دون علمهن، فضلا عن ميول المراهقين الشباب إلى تبادل الصور الجنسية وإرسالها إلى الآخرين. وبالتالي انتشر هذا اللون من السلوك بين فئة كبيرة من الشباب، ليفرز انحرافات سلوكية وأخلاقية بينهم. أما ايجابياته فإن معظم الأعمال أصبحت تتم من خلال الجوال مما أدى إلى توفير الجهد والوقت. فضلا عن أهميته في اطمئنان الأسرة على أفرادها في ظل تردي الوضع الاجتماعي للمجتمع.

ج- الشبكة المعلوماتية: Internet : يعدُ **الحاسوب Computer** والذي يرتبط **بالشبكة المعلوماتية Internet** وسيلة اتصال مهمة في الحياة الاجتماعية اليومية، إذ أصبح لغة العصر بعد أن تحول العالم إلى قرية صغيرة يستطيع الفرد فيها الدخول إلى أي مكان وفي أي زمان، وتأتي أهميته أيضا في هذه المرحلة من خلال ضعف رقابة وسيطرة الأسرة على ضبط سلوكيات أبنائها لا سيما المراهقين. وإن دخول الانترنت إلى المنازل وما يرافقه من سوء اختيار للمواقع، سيفسح المجال ويزيد من فرص دخول عادات وتقاليد قد تؤدي إلى التفكك الأسري بعد أن أصبح ارض خصبة لذلك، وخصوصا من شريحة الشباب، لما لهم من دور مهم في المجتمع. وهذا بالتأكيد نتاج لضعف أداء مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية، منها الأسرية. وفي الوقت ذاته فإن الوضع لا يخلو من الايجابيات، فنرى إقبالا واسعا على ارتياد مقاهي الانترنت وبأعداد كبيرة ولفترات زمنية طويلة نسبيا، للإفادة العلمية والأكاديمية في المطالعة وكتابة البحوث والرسائل والاطاريح الجامعية وغيرها مما يعمل على رفع الكفاءة العلمية في مختلف الاختصاصات، والاطلاع على مضامين الثقافات الإنسانية وتطورها، والتثاقف معها لاقتباس العناصر الثقافية الايجابية، وبذلك يكون التثاقف عملية اقتصادية توفر الجهد والوقت لإشباع الحاجات الإنسانية. فتحطيم الانعزال الحضاري يتبع عاجلا أو آجلا بميل نحو الحياة الدنيوية وظهور النزعة الفردية[34]. فعندما خرج مجتمعنا من عزلته ودخلت وسائل الاتصال إليه بشكل واسع وعلى نحو مفاجئ بدون مراحل تثقيفية تمهد لاستقبال العناصر الثقافية القادمة، جعلت من الأنانية والفردية بدل الجماعية، والمادية والانتهازية بدل الروحية، منتشرة في المجتمع.

32 الدليمي عبد الرزاق محمد، المرجع السابق، ص32.

33 حسن محمود شمال، المرجع السابق، ص97.

34 كلاكهون كلايد، المرجع السابق، ص103.

وخلاصة القول أن أي خلل يصيب انساق البناء الاجتماعي سيؤثر على نمطها الثقافي. فإذا ما خضع نظام جماعة اجتماعية ما، ذات حضارة لها تقليد الاكتفاء الذاتي للاختراق عبر وسائل الاتصال مثلا، فإنها تصبح ذات قابلية كبيرة في التثاقف مع الثقافات الأخرى، وحينئذ تضعف القوى التي كانت تقاوم التبدل الناتج عن التثاقف. ويمكننا أن نلاحظ أن الأفراد الساخطين والقلقين في مجتمعات متماسكة يكونوا أكثر استعدادا لتقبل النماذج الغريبة[35].

2.1- ثقافة الزي واللباس: تتجلى مظاهر التثاقف في ثقافة الملبس ومنها ما يتعلق بالمظهر الخارجي للأفراد، من التي تشمل نوعية وشكل الأزياء وتسريحة الشعر والسلاسل والقلائد والأقراط والرسم على الجسد (الوشم). إن حداثة الفكرة هي التي تحدد رد فعل الشخصية تجاهها، فهي قد تضيق أو تتسع، وقد تضمنت **حركات اجتماعية movements Socials** أو تقاليع أو بدع في الملبس[36]. وان ما يشاهده ويطلع عليه الأفراد من خلال وسائل الإعلام من ثقافات مختلفة يؤدي إلى التثاقف لينتج عنه اقتباس ثقافي لبعض الطرز الثقافية. وان اقتباس الزي الغربي يعبر عن عملية **صهر ثقافية Cultural assimilation**، التي تعني عملية التبني والتذويب التي تحصل لبعض السمات الثقافية المستعارة من ثقافات غير التقليدية[37]. ونرى مظاهر كثيرة فيما يتعلق بالمظهر الخارجي للأفراد ونمط ملبسهم في واقعهم اليومي الذي لم نعتد عليه في السابق، وهو في حقيقته **(تثاقف منظم من جهة مهيمنة)**، فلم نكن نرى مثلاً، رجل الأمن يضع النظارة الشمسية السوداء بتسريحته الغربية الغريبة مقلداً رجال المارينز الأمريكيين، أو يلفّ جبينه بقطعة قماش كما يفعل قراصنة البحر، وكذلك نرى عند البعض تسريحة الشعر فهناك من جعلها طويلة إلى الأكتاف مع ربطها وتصفيفها بشكل نسائي خصوصاً عند الرياضيين والفنانين وطلبة الجامعة، ووضع كريم الملمع وبشكل مفرط مع حلاقة غريبة للشارب واللِحى من حيث رسمها وشكلها، وارتداء الملابس الضيقة ذات الألوان البراقة مع الأحذية ذات الشكل واللون الغريبين. وعليه فانه أصبح من المتعذر تفريق الذكر من الأنثى وذلك للتشابه الكبير في المظهر الخارجي لهما. أما ما يخص الإناث فنرى الخلط في الأزياء الرسمية وغير الرسمية، بألوانها البراقة والشفافة مع شيوع ارتداء السروال الضيق الذي يثير الانتباه إلى مناطق حساسة من الجسم، بشكل مثير يبرز مفاتن الجسم في المؤسسات .

وهذا يعكس ثقافة دخيلة تحت فهم خاطئ لمفهوم الحرية. فكيف يجتمع ارتداء السروال الضيق مع غطاء الرأس (الحجاب)؟ وكيف يكون ارتداء الجلباب مفتوحا مع إظهار السروال والقميص الضيق؟ مع التفريط في التبرج. إنها ثقافة هجينة مقتبسة لا تنتمي إلى ثقافة مجتمعنا وفي حقيقته يمكن إن يكون **إحلال حضاري Cultural substitution** إذ تحل سمة محل سمة أخرى بشكل جزئي أو كلي، لتشكل عملية تغير حضاري لأنها نتيجة حتمية للانتشار أو الاختراع أو التأثير الحضاري[38]. و**امتزاج ثقافي Acculturation** تنتقل بها الثقافة من خلال اتصالات مستمرة مباشرة بين جماعات ذات ثقافات مختلفة[39]، إن هذا التثاقف والاقتباس، إنما هو تقليد ببغائي أعمى، بالشكل لا بالمضمون لعناصر ثقافية غير منتقاة تبعا لفائدتها الأخلاقية والقيمية والحضارية.

35نفسه، ص109.

36 عودة محمود، **أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي**، ذات السلاسل للنشر والتوزيع، ط2، الكويت، 1989، ص183.

37 معتوق فريدريك، المرجع، السابق، ص ص114-115.

38 سليم شاكر مصطفى، **قاموس الانثروبولوجيا**، جامعة الكويت، الكويت، 1981، ص229.

39 بدوي، احمد زكي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتب لبنان، بيروت، 1982، ص6.

ثانياً : مظاهر التثاقف اللامادي:

إن دخول وسائل الاتصال الحديثة إلى المجتمع حمل معه نسبة من القيم والعادات والتقاليد والأفكار والسلوكيات، وقد يبدأ التقبل الاجتماعي بفرد أو جماعة فرعية ثم تبدأ بالانتشار أو التوسع حتى تصبح جزء من ثقافة فرعية لمجتمع محلي أو جماعة فرعية[40].

1- السلوك

إن هذا الوضع أفرز سلوكيات نابعة من تغيير في منظومة القيم التي تشكل أساسا للنسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع. ومن مظاهره انه في السابق كانت الأم أو البنت داخل المنزل تتحرج من القيام بإجراء اتصال هاتفي أو الرد على المكالمات، عند وجود الأب أو الأبناء الكبار، أما الآن فان رب الأسرة هو الذي يبادر بشراء الهاتف، بل أصبح لكل منهن خط هاتف خاص بهن. أي أن غالبية الإناث في الأسرة أصبحن يمتلكن هاتف نقال، ومنهن الفتيات والمراهقات والموظفات والطالبات وربات البيوت، واللاتي يختلفن في طرائق التفكير والنضج الاجتماعي، لينعكس على ثقافة استخدامه، تحت مبررات الاطمئنان على سلامتهن خارج المنزل بسبب عدم استتباب الأمن داخل المجتمع. وهذه العملية تتيح فرصا عديدة لهن، لحرية استخدامه في الغرف أو الأماكن التي ينفرد بها الشخص وينعزل، وينطبق هذا على الذكور فيظهر في سلوكيات التحرش والمعاكسة. وهذا عموما شيء طبيعي عند المجتمعات الأخرى وثقافاتها، لكنه يعد غريبا نسبيا لأنه جاء بعد المنع، ليستخدم بدون تثقيف في الحياة اليومية.

ومن المظاهر السلوكية أيضا قيام الشباب باستخدام الهاتف النقال في دور العلم داخل القاعات الدراسية وأروقتها، وبصوت مرتفع يؤثر كثيرا على سير العملية التعليمية، أما النساء فيستخدمنه في الأماكن العامة كالشارع والأسواق والتي لم تكن موجودة في سلوكياتهن، بسبب قسوة وسلبية حكم نظامنا الاجتماعي عليهن، وان التحدث في الهاتف في مكان عام وبصوت مسموع للآخرين من قبل الفتيات والنساء، يعد سلوكاً غير مقبولاً من أغلبية أفراد المجتمع بوصفه جزءً من المحافظة والاحتشام ومن حُرمتها. لأن طبيعة التنشئة الاجتماعية وما تتضمنه من نمط القيم والعادات والتقاليد التي تضبط مثل هذه السلوكيات ترفضها وتمنعها على الأغلب. وكذلك فان الاستماع إلى النغمات وبصوت مرتفع يصل إلى حد الإزعاج وكأنه إذاعة متنقلة سلوك لم يكن موجودا في السابق. وهو ما يعكس تثاقف ثم اقتباس شكل العنصر الثقافي دون مضمونه ووظيفته الحقيقية التي اخترع من اجلها، ألا وهي المساعدة في قضاء حاجات الأفراد، وعدم استخدامه بشكل سيء ومفرط. وقد يعود سببه، إلى العزلة الاجتماعية والثقافية للمجتمع في المرحلة السابقة، وكذلك الفهم الخاطئ لمفهوم الحرية الشخصية وحرية الرأي والتعبير والديمقراطية وحقوق الإنسان التي صدرت إلينا، في واقع مرير تنتهك فيه المقدسات والمحرمات على أيدي دعاة الحرية وحقوق الإنسان.

2- المفاهيم والمصطلحات

هناك مظاهر أخرى تجسدت في شكل مفاهيم ومصطلحات دخلت لم يعتاد أفراد المجتمع عليها، بل لم يعرفها من قبل، ونستشف من **أنماط التثاقف** في المجتمع الجزائري مع الثقافات المحيطة والبعيدة بجانبيه المادي والمعنوي عبر وسائل الاتصال، بأن هناك شرائح وظفت هذه العناصر الثقافية في عملية **التغيير الاجتماعي والثقافي** الايجابي، وبالشكل الذي يتفق ولا يتقاطع مع منظومتنا الفكرية والأخلاقية والقيمية التي تمثل ثقافتنا وتاريخنا بإرثه الحضاري، ليتجلى هذا في تفاصيل الحياة الاجتماعية اليومية وما فيها من قيم وعادات وتقاليد أصيلة مستمرة في دورها كدرع وحصانة تواجه الغزو الثقافي لتيار التغيير الأحادي الموجه من خلال تقوية أواصر العلاقات الاجتماعية الأولية الحميمية. فضلا عن مواجهة الغزو الثقافي من خلال اقتباسه الأنماط الثقافية المصدرة إليه وذلك لمقاومته بها. حيث خلق تأثير **حضاري معاد Antagonistic**

40 بيومي محمد أحمد، المرجع السابق، ص119.

culturation عند تبني حضارة ما، سمة حضارية من حضارة معادية لمقاومة اعتداءاتها بصورة اشد فاعلية وتأثيرا[41]. فتشكلت **مقاومة حضارية resistance Civique** وهي مقاومة حضارة معينة، من بعض السمات والمركبات الحضارية الغريبة عنها ورفضها لها بعد تبنيها[42]. بحيث استطاعت هذه الشريحة من المجتمع اقتباس عناصر ثقافية تعود للمحتل وقامت بتوظيفها بقصد مقاومته ومنها **الانترنت والهاتف النقال والقنوات الفضائية**. وتجلى ذلك فيما يسمى **اكتساب ثقافة الخصم Antigone Acculturation** أثبتت هذه السلوكيات نجاعها على الواقع، واتضح هذا أمام غالبية أفراد المجتمع ولم يعد يخفى على أحد مصدر تصدير هذه الأنماط على اختلافها وتنوعها إلى مجتمعنا، مما جعل **التثاقف المخطط والمراقب ولآجال طويلة** اضعف أنماط التثاقف بين ثقافتنا والثقافات الغربية.

IV- الخلاصة :

مما تقدم يمكننا القول أن عمليةَ التثاقف من المنظور الغربي تحدث خللا كبيرا يؤثر في البناء الثقافي والمعرفي لكثير من المجتمعات العالم الثالث في مرحلة ما بعد الكولونيالية، ولهذا أسباب متنوعة: داخلية وخارجية؛ ذاتية وموضوعية؛ لحظية وتراكمية،...إلخ. وقد يؤدي هذا الخلل إلى عدم وضوح هوية المجتمع وماهيته، وإلى حدوث ما يُسمى بالارتباك الثقافي. ولعل من أهم أسباب هذا الارتباك عدم تحديد مرجعية الخطاب الثقافي، لاسيما في ظل صراع قيمي ثقافي سُخّرت له أحدث التقنيات، فغدا هذا الخطاب لعدد غير قليل من المجتمعات، صدىً لغيره من الخطابات الثقافية المركزية (أوروبا وأمريكا)، على الرغم من اختلاف بنية النظام المعرفي لكل ثقافة من الثقافات.

بات اليوم من الضروري للمجتمعات العربية عموما ومجتمعنا الجزائري خصوصا أن تحمل خطابا ثقافيا يتسق مع هوية الأمة، خاصة وأنها تملك نظاما معرفيا واضحا يحدد رؤية الإنسان للإله والإنسان والعالَم وتنعكس معالم هذا النظام المعرفي على مجالات الحياة كلها. وكان لهذا الوضوح دور كبير في المحافظة على تماسك الأمة والمجتمع وإبقاء هويتها واضحة المعالم على مر العصور. لذلك فإنَّ نجاح الواقع الثقافي على استيعاب هذا التحول والمنعطف الخطير وتجاوزه يعتمد على قدرة هذه المجتمعات على تمثّل هوية مجتمعه، وإحداث الاتساق الثقافي؛ إذ يتحقق هذا الاتساق إذا كانت وجهتا الأفراد السلوكية والثقافية متناغمتين، فتكون أركان الثقافة كلها متجهة وجهة واحدة لا تتناشز ولا تتناقض.

إنّ عدم الاتساق الثقافي والتنافر في عناصر الخطاب الثقافي يؤدي إلى ضعف ثقافة المجتمع ويهدد كيانه ووجوده. وبناء عليه ينبغي للخطاب الثقافي أنّ يتجاوز تلك الرؤى التي كانت تنادي بنظريات الإزاحة والإحلال؛ إن استلهام الواقع الحضاري الأول للمسلمين لا يعني التغني بإنجاز مجيد، كلما شعرنا بمرارة التخلف عن مواكب الإبداع، والعجز عن التجديد والاختراع، بل إن ذلك الاستلهام هو تذكير بالطاقات الكامنة واستنهاض للهمم الطموحة، واتصال بتراث الماضي مع ذلك كله لا ينظر إليه بمنظار القداسة المزيفة ولا يستعص على جهود المراجعة، بل هو جهد بشري واجتهاد ظرفي، يستقيم وينحرف ويخطئ ويصيب ولذلك فإنه يخضع للنقد والتمحيص، فكما أن فيه أفكاراً حية يلزم بقاؤها، فإن فيه أفكاراً ميتة يلزم إنهاؤها وأفكاراً قاتلة يلزم اقتلاعها. المهم في كل ذلك هو النظر إليه برؤية منهجية.

أما استيعاب الخبرة البشرية المعاصرة، فهي ليست استجداءً ثقافيا، ولا سطواً علمياً لبراءات المبدعين وإنما هو طلب للعلم وسعي للتعلم وابتغاء للحكمة حيثما وجدت، ونمواً في الخبرة وإذا كان هذا فهمنا للاستلهام والاستيعاب، فإنَّ فهمنا للتجاوز يقوم على تحقيق "القفزة الإبداعية" التي تأخذ قوتها من طاقة التكامل المعرفي بين عناصر الهوية ومرجعياتها، من

41 سليم شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص55.

42 نفسه، ص229.

جهة، والتسلح بأفضل ما يتوفر من علوم العصر وأدواته ومهاراته، من جهة أخرى؛ ليس ركضا خلف من تقدموا، طمعا باللحاق، وإنما قفزاً إلى المقدمة.

- الإحالات والمراجع :

1) بدر أحمد، الاتصال بالجماهير، وكالة المطبوعات، الكويت، 1982.
2) بدوي احمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتب لبنان، بيروت، 1982.
3) بركات نظام محمود، التبادل اللا متكافئ بين الثقافتين العربية والغربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003.
4) بياربونت، وميشال ايزار، معجم الاثنولوجيا والانثروبولوجيا، ترجمة وإشراف مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2006.
5) بيومي، محمد احمد، الانثروبولوجيا الثقافية، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1983.
6) تقرير التنمية البشرية، لعام 1999، برنامج الأمم المتحدة Undp ، طبع في البحرين، 1999.
7) جواد محمد خلف، العلاقة الإشكالية بين الثقافي والغزو الثقافي في الخطاب العربي المعاصر، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع176، 1993.
8) حسن محمود شمال، نحن والبث الفضائي، مجلة دراسات اجتماعية، بيت الحكمة، ع1، بغداد، 1999.
9) الخريجي عبد الله، التغير الاجتماعي والثقافي، رامكان، السعودية، 1983.
10) الخشاب احمد، دراسات انثروبولوجية، دار المعارف، مصر، 1971.
11)الدليمي عبد الرزاق محمد، الإعلام والعولمة، دار مكتبة الرائد العلمية للنشر، الأردن، 2004.
12) الساعاتي سامية حسن، الثقافة والشخصية، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1983.
13) سليم، شاكر مصطفى، قاموس الانثروبولوجيا، جامعة الكويت، 1981.
14) شابيرو هاري، نظرات في الثقافة، ترجمة: محمد العريان، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة-نيويورك، 1961.
15) الشماس عيسى، مدخل إلى علم الإنسان، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.
16) عبد الدائم عبد الله، دور التربية والثقافة في بناء حضارة إنسانية جديدة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1998.
17) العبيدي حارث علي، دراسات سوسيوانثروبولوجية، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، 2012.
18) غيث محمد عاطف، علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984.
19) كلاكهون كلايد ، الإنسان في المرآة، ترجمة د.شاكر مصطفى سليم، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بغداد – نيويورك، 1949.
20) كوش دوني، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، مراجعة الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007.
21) لنتون رالف، دراسة الإنسان، ترجمة عبد الملك الناشف، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت نيويورك، 1984.
22) مدكور إبراهيم، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975.
23) معتوق فريدريك، معجم العلوم الاجتماعية، أكاديميا، بيروت، 1998.
24) عودة محمود، أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي، ذات السلاسل للنشر والتوزيع، الكويت، 1989.

25) Alvin L .Bertrand .Basic Sociology, Louisiana State University, Appleton-century-crofts, New York, 1973.
26) Boas. F, "Anthropology" Encyclopedia of social sciences. Vol, 2, New York, 1930.
27) Encyclopedia of social sciences the Macmillan. New York, 1962.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

أ. كمال بوغديري ، (2021) **التنوع الثقافي عبر وسائل الإعلام والاتصال في المجتمع الجزائري (** مقاربة سوسيوانثروبولوجية) ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 13(04)/ 2021 B، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص.ص 75- 86.